Comprehensive Journal of Science
Volume (10), Issue (38), (Dec, 2025)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (10) العدد 38 ديسمبر 2025
ردمد: 3014-6266

سيكولوجية الذات المفردة في رواية إرث الرماد لعبدالسلام عمر عصمان

صبحية خليفة محمد الحلالي

كلية الآداب – جامعة الزاوية

البريد الالكتروني: s.alhallali@zuedu.ly

تاريخ الاستلام:2025/11/1 –تاريخ المراجعة: 2025/11/15– تاريخ القبول: 2025/11/25– تاريخ للنشر : 6/12/ 2025

ملخص البحث

تتعلق سيكولوجية الذات المفردة في رواية إرث الرماد بدراسة الذات الإنسانية من حيث غموضها ومحاولة إدراك كنهها، من خلال اتجاهات الشخصية ومشاعرها وسلوكها بإعتبارها كائنًا بيولوجيًا واجتماعيًا يؤثر ويتأثر بالآخر. فإرث الرماد عملت على توضيح الصورة المجردة الذات وسلوكياتها وممارستها، وقد تجلي ذلك بالاهتمام بالذات المفردة على صعيد الفرد والجماعة داخل المجتمع وما يحمل من عادات وتقاليد وصراع بين الفئات والقوات الظالمة وأثرها في نشوب الغزوات والحروب التى تعمل سلبًا على ضعف الذات وانهيارها وموتها البطيء.

ومنا هنا ممكن القول بأن الذات المفرد تجمع بين أنواعها المتعددة الفردية والجمعية والنفسية والمثالية وغير ذلك، لتصل إلى مدلول كلي ومحدد يجمع بين الذات والهوية لتحقيق هدف ما، وتقييم الإدراك الذاتى للشخصية وما تملكة من قدرات وتوقعات، وتأثيرها على النفس والتى يشعر الفرد من خلالها بالارتياح والثقة وتحقيق الذات.

الكلمات المفتاحية: سيكولوجية، الذات، السرد، مونولوج، وبالوج، إرث الرماد.

Abstract:

The Psychology of the Individual Self in the Novel Inheritance of Ash by Abdulsalam Omar Osm

Subhiya Khalifa Mohammed Al-Hallali

Faculty of Arts – University of Zawia

Email: s.alhallali@zuedu.ly

The psychology of the individual self in the novel Inheritance of Ash concerns the study of the human self in terms of its ambiguity and the attempt to comprehend its essence through personality orientations, emotions, and behaviors. The self is viewed as a biological and social entity that influences and is influenced by others. Inheritance of Ash clarifies the abstract image of the self, its behaviors, and its practices. This is reflected in its focus on the individual self at both the personal and collective levels within society, along with the traditions, customs, and conflicts among groups and oppressive forces, and their impact on the outbreak of invasions and wars that negatively contribute to the weakening, collapse, and slow death of the self.

From this perspective, it can be said that the individual self combines multiple types—individual, collective, psychological, idealistic, and others—to reach a comprehensive and specific meaning that unites the self with identity to achieve a certain purpose. It further evaluates self-awareness in personality, its capabilities and expectations, and the influence of these on the psyche, through which the individual experiences reassurance, confidence, and self-fulfillment.

Keywords: Psychology, Self, Narrative, Monologue, Dialogue, Inheritance of Ash.,

مخطط الدراسة

1. أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان معنى ســـيكولوجية الذات المفردة، ومدى تأثرها بالآخر عبر مناخ وبيئة مختلفة، على مستوى اللغة والمصطلح، إذ يقوم هذا البحث على دراسة أنواع الذات وأنماط الشخصية وتصوير أبعاد الشخصيات داخل العمل السردي، والكشف عن مدى إجادة الكاتب عبدالسلام عصمان لتصوير الذات وتأثيرها على الغير داخل اللحظات المناسبة، بحيث تتولد قوالب مختلفة يمكن أن تعطي دلالات تعمل على التأثر في القارئ أو السامع.

2. إشكالية البحث:

تتحدد إشكالية البحث عن مدى ملائمة سيكولوجية الذات مع النص الروائي للكشف عن خباياة ودلالته العميقة، وبما أن البحث يحتوي على دراسة الذات والشخصية في إطار نقد النقد التي تبحث عن معرفة المعرفة، التي تتطلب طبيعة اتباع المنهج الوصفي التحليلي.

3. أهمية البحث:

تعمل هذه الدراســـة على فهم الذات المفردة في رواية إرث الرماد، والتعرف على المعتقدات والقيم التي تشـــكل شـــخصـــية الفرد وعلاقتها بالآخر، والتعرف على أهم الدوافع والرغبات التي تعمل على تحريك ســلوك الإنســان، وتواصـــله الفعال مع المحيط الخارجي من خلال فهمه للثقافة والفلسفة الوجودية وطبيعة الذات، والكشف عن أبعادها المتعددة للوصول إلى آليات الذات الداخلية.

4. الدراسات السابقة:

ومن الدراسات التي قامت حول سيكولوجية الذات، مايلي:

1. دراسات في سيكولوجية لعزلة الوجدانية، إيمان محمد الطائي.
2. سيكولوجية الشعور بالذات والعمليات الإنتاجية لدى الإنسان، مهند محمد عبدالستار.
3. البعد السيكولوجي في رواية (أحلام مدينة)، فريدة إبراهيم.
4. بناء الذات في الرواية الجزائرية المعاصرة، رواية المغارة الثانية لوسيلة – ناني أنموذجًا، سارة بنا الحيلة.

5. أسباب اختيار الموضوع:

من أسـباب اختياري للموضـوع هو البحث في سـيكولوجية الذات المفردة عند شـخصـية ليبية دخلت مؤخراً إلى الساحة الأدبية وهو الكاتب "عبدالسلام عصمان"، الذي تحدث في روايته "إرث الرماد" عن الشخصيات وما لها من رغبات وسـلوكيات عملت على تحريك سـلوك الفرد وتأملاته ودوافعه ورغباته المختلفة التي تعمل على التطور الشـخصـي وكيفية التواصل الفعال مع الآخر، وفهم العلاقات الإنسانية وتحسين الصحة النفسية من خلال دراسة العوامل التي تعمل على إثارة التوترات والضغوطات في ظل التعامل مع المحيط الخارجي.

أولاً: مفهوم الذات أدبيًا ونفسيًا:

أ. مفهوم الذات أدبيًا:

يشـير الذات أدبيًا إلى ذات الكاتب، وكيفية إبراز شـخصـيته الأدبية من خلال نتاجاته المتعددة، والكشـف عن التجارب والهوية، والمخاوف والهواجس، والوعي الذاتي للأشياء.

فهو يعد صراعًا يوجه شخصية الإنسان عبر أفكاره ومعتقداته وأخلاقه لتحقيق أهداف معينة، إذ ظهرت اتجاهات أدبية في قضية الذات تحصره في التعبير عن النفس من خلال ذاته المبدعة دون الاهتمام أو النظر إلى المتلقي، مما أدى إلى ظهور عدة إشـكاليات وغموض وتعقيدات، واختلاط تام بين مفهوم الذات ومفاهيم آخرى تختلف اختلافًا كليًا على المعنى الأساسي للذات، باعتبارها تشير إلى الروح المعبرة عن شخصية الكاتب الذاتية المليئة بالإحساس والشعور.

يعطي الأدب أهمية بالغة لذات المؤلف التي بدورها تعكس أبعادًا نفسية وإيجائية عبر نتاجه الأدبي، وما اتسم به من وقائع وأحداث مختلفة كان لها الأثر الفعال على الذات ورؤيتها الخارجية[1](القاضي، 2010، 354).

فالنص الأدبي هو مرآة للذات التي تكشف مكامن الآخر، وتكشف ميوله ورغباته من خلال التكوين الثقافي والبيئة الخارجية والمحيط "حيث يعمل الشـاعر جاهدًا لخلق لغة فنية تعبر عن ذاتيته، وآماله، وطموحاته ومشـاعره وأحاسـيسـه، وعواطفه، وانفعالاته التي يمر بها"[2] (عباس، 1975، ص161).

وقد تجلى أدب التعبير عن الذات في النثر عبر العديد من الأنواع والكتابات النثرية مثل: الروايات والقصـص وأدب الرحلات وغير ذلك، حيث شهدت الذات حضورًا بارزًا يشير إلى مواطن الفرح والحزن والكآبة والنصر على المظالم، والإصرار على التقدم في ظل الإحساس بوجود الذات القوية الخارقة لتتصدى لظلم الآخر وجبروته "فالأدب في جوهره نشاط لغوي متفنن للتعبير عن الذات، قبل أن يكون رغبة في إبلاغ حقائق معينة، أو تحقيق تأثير معين في نفس المخاطب"[3] (الشرقاوي، 1979، ص229).

والذات في حقيقتها تعني الوعي وإدراك الشـخصـية، ومن خلال وجودها في هذا العالم إذ تسـعى جاهدة إلى بلورة هذا الوجود وتفسيره وتحليله وفقًا للظواهر الوجودية.

كما يعمل الأدب على تفسير وتوضيح النفس الإنسانية بالكشف عن أبعادها على نحو أكثر عمقًا، إذ نجده يتغلغل داخل خلجاتها، ويُفسـر حقائقها، ومشـاكلها ورغباتها[4](شـاكر، 2017، ص26)، عن طريق لغة التحليل المرتبطة بلغة الأدب التي تعمل على شرح مفرداته ومعرفة الجانب المظلم منه، وإثراء عدة مفاهيم لها علاقتها الوطيدة بالذات.

وهكذا تفاعل الذات أدبيًا مع العمل الأدبي من خلال الصـــور والإيحاءات والرموز والإيماءات والصـــور والأحلام وكشف المخاوف والكوابيس وغير ذلك، مما يتولد دلالات وتضمينات مشتركة ومتفاعلة بعضها البعض.

ب. مفهوم الذات نفسيًا:

يشير هذا المصطلح إلى معرفة الإنسان ذاته وطرق تصورها للأشياء، عبر المحيط الخارجي وطرق تعامله مع الآخرين، فهي "الجوهر الحقيقي الثابت الذي يصاحب عدة إحساسات واقعية تحمل أعراض يتألف منها الشعور"[(5)] (صليبا، 1982، ص140).

فالذات هي الحدس المتصـــور في الذهن والمعبر عنه في الحقيقة الثابتة المنبعثة من الوجدان، فهي عين الذات وضميرها المتأمل للأشياء وتقييمها له، ويُشكل عملية سيكولوجية تتمثل في التركيز على سلوك الفرد من خلال اتجاهاته المختلفة، وإدراكه للأمور، وتصوراته الوجدانية ومدى تأثره بها وانعكاساته على الآخر.

فإدراك الفرد لتجاربه الحياتيه عبر ذاته الفردية تعكس شـــخصـــيته وميوله ورغباته في تحديد الأمور وما يتناســـب منها، ووضعها أمامه لمعرفة عدة تغييرات بيئية وبدرجات متقاربة.

يشير "مارش وفوكس" في تفسير مفهوم الذات على أنه "مفهوم هرمي متعدد الأبعاد، وأهم الأبحاث التي استطاعت أن تدرج هذا المفهوم في مختلف التخصصات التربوية، والصناعية، والاجتماعية، والرياضية"[(6)] (مويسي، 2015، ص8)، إذ تعمل الذات على تنظيم سلوك الفرد وخبراته وتفاعله مع من حوله بطرق ومعايير تؤدي إلى التوافق النفسي.

وتقوم الذات على نموذج خاص بها يعمل على التوحيد والتجديد والتنظيم بصـــــورته الحقيقية المدركه للواقع، وبالتناغم المتجانس بين الشعور واللاشعور، لتكوين تكامل يربط بين الذات والأنا الشعوري.

وعلى هذا الأساس فقد اهتم علماء النفس بدراسة مفهوم الذات "بحكم أنه يمثل محورًا أساسيًا في بناء الشخصية وفهمها، وذلك بالتركيز على الخبرات المدركة للفرد في حاضـــرها، وأن تحقيق الفرد لذاته يتطلب أكثر من مجرد إشـــبـاع الحاجات البيولوجية والغرائز النفسية"[(6)] (عبدالرؤف، 2016، ص13).

كما تُميز الذات عن غيرها بعلاقتها مع الآخرين وطرق التعامل معهم وتفاعلها مع الذوات الآخرى.

وعرفها "أدلر" بأنها تنظيم يحدد للفرد شـخصـيته ورؤيته وأهدافه وهذا التنظيم يُفسـر خبرات الكائن الحي ويعطيها معناها، وتسعى الذات إلى سبيل الخبرات التي تكفل للفرد أسلوبه المتميز في الحياة، وتعتبر الذات هي الإحساس بالفشل وهذا ما سماه عقدة النص[(8)](فضل الله، 2011، ص55).

وتفسير الشخصية من خلال الذات على أنها لتأكيد تأكيد الكفاح الإيجابي للفرد وطموحه لتحقيق حاجاته وميوله لتأكيد ثبات الذات من خلال النواحي المعرفية التي تشمل على الحرص والاهتمام بالعمليات العقلية الداخلية.

أما "روجرز" فيؤكد على مفهوم الذات الذي يعد من الأمور المنظمة والمنسقة، والتي تتألف من إدراكات خصائص الأنا وعلاقتها بالآخرين، وبجوانب عدة في الحياة، وارتباطها بمجموعة من القيم والمثل العليا، [(9)](مويســـى، 2015. ص30).

ثانيًا: أنواع الذات:

أ. الذات المثالية:

هي الصــــورة المنشـــودة للفرد ورؤيته الحقيقة لما حوله من أهداف وتطلعات قادمة، إذ أنها تشـــكل دورًا مهمًا في صـــحة الإنســـان ونفســـيته وكيفية تعامله مع الآخرين، وغاياته وطموحاته المختلفة والتي يتطلع عليها الفرد، كما تعد الذات المثالية هي المرشـدة للإنسـان عبر فترة حياته ومراحلها المختلفة، فالذات لها علاقة وطيدة بالذات المثالية المُحركة لتصـور العقلي والجسمي والنفسي للإنسان.

وهذا الجانب المثالي يعكس ما يود المرء أن يعلمه ويقوم به ويقرر "هافجورســــت" أن الذات المثالية "تبدأ في الطفولة عندما يبدأ التطابق مع نموذج والديه" وتســــتمر في التطور حتى المراهقة المتأخرة فتكون مركبًا من الســـمات المرغوبة"[(10)] (السرحاني، 2015، 11).

كما أنها تقترب كثيرًا من الذات المدركة التي تحتوي على طاقة وتستخدم في عملية التوجيه والإرشاد.

ويشير "هيجنز" "بأن المشاعر السلبية تنشأ من الاختلاف بين المثالية والواقعية، إذ يتكون القلق وما ترتبط به من المشـاعر السـلبية والاختلافات مما يؤدي إلى تذبذب قوة الذات المثالية باعتبارها تشـير إلى صـورة الشـخصـية الاجتماعية والأخلاقية، فهى وهم ذاتي واغتراب عن العالم الحسي [(11)] (حنفي، 2017، 9)

أما بمعناها الأدبي فهي ســـلوك الكاتب وقيمته الأدبية وفي معرفة النفس واحترام ذاته وذوات الأخرين من خلال الصـورة الذهنية التي يرغب الإنسـان في تطويرها وتحقيقها على الوجه المطلوب، فهي الجزء الكلي من عملية النمو النفسـي وتكافؤها مع الغير.

ب. الذات الناقصة "المتألمة":

هي وصــف شــعور المرء بالنقص نتيجة لتجارب ســلبية وظروف غير طبيعية تعمل على التأثير المباشــر على الصـحة النفسـية وعدم الكمال في الذات، إذ يسـعى الإنسـان جاهدًا للتغلب على هذه المؤثرات ومعرفة السـبيل لتحسـين قوة الذات وصــــلابتها في مواجهة الطرف الآخر، مع عدم المقارنة بالغير، لتطوير المهارات والتركيز على مواطن القوة والضعف، وكذلك للبحث عن داعم يُوثق الصلة بين إيجابية الذات وسلبياتها، بوجود أحد الأصدقاء، أو العائلة أو شخصٍ مختص يعمل على تزويد الذات بالثقة والعزم.

أما الذات الناقصــة في الأدب فهي عبارة عن وجود صـراعات داخلية معقدة تبحث عن شـيء ما مثل البحث عن الهوية وقيمها الذاتية والبحث عن الوجود، "باعتبارها غير واقعية وتنهض في أفق المعرفة الناقصـة، أو التحقق من الناقص"[(12)] (الحميري، 2023، ص25).

فالنقص هو الشعور بعدم التوازن النفسي وانخفاض القدرة على التفكير والتركيز في الأشـياء، فالكاتب عند شـعوره بالنقص ينحي منحي المراجعة وجلد الذات وإدانتها، حتى يصـل إلى مرحلة التشـفي منها، "فالوعي بالنقص وإدراك الحدود، سواء على مستوى المعرفة والثقافة أم على مستوى الوجود والانفعال، أم على مستوى التاريخ والحضـارة،

هو ما يجعل الإنســان إنسـانًا، أي ما يرزع فيه روح التطلع إلى الأفضـل وتعبئ إرادته بالقدرة على مد عينيه نحو المستقبل"[13] (المصباحي، 2017، ص41).

ج. الذات الوجودية:

هو مفهوم فلســفي يُركز على ذات الإنســان ووجوده وخبرته وحرية اختياره لتحديد مصــيره، ذلك لأن الفرد هو المسؤول الأول عن تصرفاته وأفعاله وقراراته التي تؤدي إلى الإيجاب أو السلب.

كما أن هناك العديد من الفلاسـفة الذي تحدثوا عن هذا الجانب من بينهم: كيركجور، وسـارتر، كامو، وغيرهم كما امتزجت الذات الوجودية مع الادب في العديد من الأعمال مثل المسرحيات، والروايات، ذلك لأنها تتحدث عن أعمال البشر ومواقفهم وتحركاتهم في الواقع، وحجم المعاناة التي تتوافق فيها الذات مع الغير "فحياة الكاتب قد تكون ممتلئة، وقد تفيض عما امتلأت به من تجارب، ومن تقلبات وأزمات، أو من مشــاعر كالقلق أو الملل أو الســأم.. وهو ما يجعل من اليوميات رحلة في عالم الكتابة، ومن خلالها يحاول الكاتب أن يقلب المفاهيم وأن يعيد الاعتبار لوجوده"[14] (قيســـومة، 2012، ص142).

فرحلة العمر عند الكاتب واحدة أما من خلال الكتابة او في عالم الكتابة فهي متعددة تتنوع وتختلف باختلاف تأملات القارئ وتأويلاته النابعة من جوهره الداخلي، ذلك لأن الذات "تعيش في العالم في حالة وجود مشــترك مع الآخرين، والأنا "الذات" خاضعة باستمرار لضرورة الاعتماد على الآخرين في ظل الالتزامات المشتركة للحياة اليومية[15](أبو سيف، 2005، ص91).

وبحس الكاتب ورؤيته الإبداعية يُعبر عن تأثره بالواقع وتأثر الآخرين بالمجتمع المليء بالأزمات والتوترات في ظل الإكتفاء الذاتي الذي يدور حول مركزية الذات ومحيطها الخارجي.

د. الذات الواقعية "المدركة":

هي التركيز على الفهم الموضـوعي والواقعي للذات، والتعرف على مواطن القوة والضـعف دون تحريف أو تزييف، من خلال التوافق مع الواقع المعيش، والوعي الذاتي، والتقبل الذاتي، مع القدرة على معرفة أخطاء النفس وضعفها وتقصيرها وانكسارها عند حدوث أمر يضـعف الذات ويطمسها، وتتكون أيضًا من أفكار الإنسان الذاتية محددة الأبعاد، فهي "مجموعة من القدرات والإمكانات التي تحدد الصورة المدركة الحقيقية للفرد"[16] (الحراحشة، 2015، ص73).

وتشــير هذه الذات إلى الطريقة التي يصــف فيها الإنســان ذاته الواقعية من خلال صــورته الحقيقة، وقدرته على تحمل المسـؤولية بقوة وعزم وإصـرار، وكيفية اتخاذ الدور المناسـب في المجتمع، "فمفهوم الفرد لذاته وإدراكه لها، تعد المركز الذي تدور حوله كل خبرات الفرد، فهي جزء من المجال الظاهري الذي يتميز تدريجيًا عن بقية المجالات باعتبار أنه شعور الشـخص بكيانه وبوجوده"[17] (مويسـي، 2015، ص30)، وقيمه التي يكتسبها من خلال تعامله مع الآخرين، فيتقبلها لأنها تتفق مع ذاته وكيانه التي تتضمن محتويات شعوريه ولا شعورية، ومن مجموعة ذوات فرعية واجتماعية.

ولا تسـتطيع أن تدرك الذات إلا من خلال علاقة الفرد الديناميكية بالعالم الخارجي، وبيان صـورته لدى الشـخص الآخر وتصـوره للإنطباع الذي يتركه لدى الآخرين، ويتضـمن الصـورة التي لديه عن مدى جاذبيته، وانعكاس سـلوكه على الغير[18](رجب، 2025، ص85).

هـ. الذات المبدعة والمحبة:

هي الذات القادرة على خلق الأفكار والمشاعر الجديدة والمبتكرة بطرق إبداعية تعمل على تحسين الحياة وزيادة هرمون السعادة والقضاء على السلبيات، وتحسين العلاقات مع الآخرين، وكذلك تعزيز الإبداع الذاتي للوصول إلى المبتغى والهدف المطلوب.

فالذات المبدعة والمحبة هي الذات التي تسمع للآخر وتشعر به وتقدم الدعم له، في ضوء الاستمتاع بالحياة والنظر إليها بنظرة إيجابية من خلال ممارسة فن من الفنون، مثل: الموسيقي، والرسم، والكتابة بكل أنواعها، وابتكار مهام وظيفية تعمل على تحفيز الذات وزيادة نشاطها.

فقدرة الكاتب أو الشاعر تتجلى في ذاته الإبداعية في توجيه الخطاب النصي الذي يُعبر عن رؤيا الذات وتجاربها، فمضمون القراءة هي اقتراح إنجاز أو مشهد يتضمن معرفة جيدة للنص، وإدراك دوافع الذات المبدعة لتكون حلقة وصل بينها وبين المتلقي[19](أدونيس، 2010، ص35).

ومن ذلك تتحول عملية قراءة النص إلى ممارسة ثقافية وإبداعية وسيكولوجية، تهدف إلى مقاصد مضمونة من خلال إدراكها إلى طبيعة وآليات الفضاء الكتابي والتشكيلي، ولعل كثافة إنتاج المعاني وسعة انتشارها على جسد النص بطرق إبداعية من شأنها أن تمتحن قدرات القراءة على الإحاطة بها، وتمثل فضائها المشتبك والمتداخل، وهذا يعكس على ذات الكاتب وطرق إبداعه للكلمة وكيفية وضعها بطرق صحيحة وسليمة.

"فالذات الإبداعية هي توجيه خطاب النص على النحو الذي يعبر عن رسالة الكاتب للمتلقي في ظل التجارب الحياتية "فالذات الإبداعية تشكل أهداف الشخصية الخيالية النهائية حيث العلو والسمو بالذات، التي من أجلها يكافح الناس طوال حياتهم"[20] (عيد،2006، ص88).

ثالثًا: أبعاد الذات في رواية إرث الرماد:

يسعى الكاتب عبدالسلام عصمان إلى معرفة الصور المختلفة التي تعبر عن الذات وطبيعتها في نمط روائي مختلف الأبعاد، حيث تتسع فيها المسافات بين الذات والكاتب لتكون موضوعًا للتأمل والتصوير، ومقصدًا من مقاصد نقل التجربة الحقيقية من خلال الرجوع بالذاكرة إلى الوراء.

فـإرث الرماد" تركز على الهوية الوطنية برؤية شمولية، تتجاوز نقل التجربة الذاتية وربطها بتجارب الأخرين من خلال إظهار رؤية أكثر ورحابة، فهي وعي بالأفكار العميقة الداخلية وتجسيد للأحلام، والآلام الإنسانية، ونبذ الذل والهوان، سعيًا منها إلى الإدراك وفهم القيم والمبادئ الإنسانية التي يسعى إليها الإنسان في كل زمان ومكان.

كما أن طبيعة الذات في هذه الرواية هي إدراك وفحص للسلوك وتصوير الذات الإنسانية التي ولطالما كافحت من أجل الحرية والانعتاق، وهذا يجمع في بعض الحالات إلى مبدأ الصمت والتأمل والمقارنات التي تغوص في تفاصيل شخصيات هذه الرواية.

1. **البعد الخارجي "الجسمي":**

هو المظر الخارجي للشخصية "الجد آدم"، وتكوينها الجسماني من خلال ملمحها التي تميزها عن غيرها، مثل: لون العيون، لون البشرة، لون الشعر، والطول، والنحافة، والقصر... إلخ".

وهذا لم يتبين في شخصية الجد "آدم" سوى أنه ذاك العجوز الكهل صاحب الملامح الحزينة التي عملت على تقوس عموده الفقري عندما بلغ شيخوخته وصار يتحدث بصوتٍ أجش، وغالبًا ما يهم بإشعال غليونه العتيق في صمت مقذع.

2. البعد السيكولوجي:

إحســـاس العجوز "آدم" وبالبأس واليأس من حرب آتون التي أهلكت مدينته على بكرة أبيها، فقد فيها أحبابه وأصحابه وعائلته التي قتلت أمام ناظريه بدم بارد في ذلك العالم البائس بكل تفاصيله المقيتة، مما جعله يتنفس عتمة روحة بزخم الاختناق.

- "على حافة الحرب اللعينة تمحو بهجة المدن والقرى المتراكمة والأرصف وأراجيح الضوء والطفولة المسكونة بالخوف الراجف، تدسُ مدينتي قمحها للسنوات العجاف" (عصمان، 2023، ص5).
- "المشهد يزداد قتامة وتهفو أحلام الطفولة إلى القاع السحيق، تتحجر حينها مآقي البراءة" (عصمان، 2023، ص5).
- "لقد شربت كل المواجع والفواجع وقاومتها بإرادة حديدية يكتلة صبر ذاتية داخلية" (عصمان، 2023، ص22).

عمل الكاتب على الجمع بين ماهو موجود داخل نفسية الفرد من مشاعر وغرائز مكبوته، وماهو جسمانيًا ظاهرًا على ملامح الشخصية وتصرفاتها وصفاتها من خلال تعاملها مع البيئة.

فكل شخصية في هذه الرواية تحتوي على نقص يؤثرُ تأثيرًا كبيرًا على الكيان الاجتماعي والجسماني والنفسي، مما ينتج عنه صدور أفعال لها أبعادها المتعددة.

- "أضـيع في ضـياعي والشـوارع تعبُر إلى آلامها والآن أفكرُ كل لحظة كيف أحفر قبري في رحابة وجعها، ضـجر وضوضاء واحتراب وقليل من سكون" "عصمان، 2023، ص13".
- يتحدث الجد بحرقة وألم في نفسه وعن مآسي حياته وحرب آتون التي كان صداها يحطم الأفكار ويدمي القلوب، فالفقد الكلي للإنسانية وجوهر الروح التائهة غير ضوضاء الشوارع وسكون الصوت، مما ينتج عنه اغتراب ذاتي فوق تراب الوطن الذي تربي وترعرع في حناياه.

ويكمل المسار تفصيل مآسي النفس من جراء الحرب اللعينة على لسان حفيد "آدم" قائلاً:

"إنها الحرب ياجدي سرقت منا الكثير، حتى أحلامنا، موت أمي لا يخمد، يتقدُ في ذاكرة الماء، هذا الحريق؛ كنت وجدت انعكاسك بين ثنايا رُوحي...". (عصمان، 2023، ص14).

نلاحظ عبر هذه الأسطر معاناة الحفيد، ومشاكله النفسية وآلامه الجسيمة بسبب فقدانه لأمه، وجرائم الحرب التي أثرت بشـكل سـلبي على ذاته، فكان الحوار المباشـر بينه وبين الجد بمثابة الحوار التناوبي، الذي يعمل على تحريات الأحادث وترتيبها في إطار الجانب النفسـي، إذ يُعد هذا الحوار بمثابة الكشـف عن الكثير من الجوانب الخفية والمكبوتات لدى الشـخصـيات، التي تبوح بما تفكر وبما تعاني وتشـعر به "وعما تريد قوله إزاء مواقف معينة إذ يعمل هذا النمط من

الحوار على تكييف الحدث، وتجسيد مآسي الفقد، ومرارة الغربة التي يتجرع طعمها الحفيد كل يوم، ورغبته الشديدة لعودة لرؤية أمه من جديد".

كما نلحظ رغبة شخصية "الحفيد" في البوح للتعبير عما يدور بداخله، ولعل الصفات النفسية تعمل على الكشف عن الجوانب الخفية للبعد النفسي، وعن المكبوتات الداخلية التي يعكسها الحزن والألم.

"كنت وحيدًا أحارب الصمت في رحم الملاذات الآمنة ثمة فجيعة في عالم لا محسوب، اتسعت تجاويف الضُرْ العارية، تصدعت الشروخ بوحشية النحيب الأزلية، تشظف نيازك غير مرئية...(عصمان، 2023، ص30).

تشير هذه الأسطر في أبعادها السيكولوجية إلى نوع عميق من الحزن الصامت المقيم بداخل الذات المتألمة من قسوة الزمن التي عملت على إثارة فجيعة داخلية غير متوقعة، تستوطن القلب وتصرخ بدون أنين.

كما تشير أيضًا إلى عنصر من عناصر البعد السيكولوجي ألا وهو (الشخصية والطباع)، من خلال صفات الفرد وهذا ما نلاحظه في صفة الانطواء والابتعاد عن البشر، والوحدة القاهرة التي هيمنت على قوة الذات مما جعلها في حالة انهيار وضعف.

3. الأثر السيكولوجي وثنائية الزمان والمكان:

يعد التأثير السيكولوجي من العناصر المهمة في النص الأدبي لما له من تأثيرات نفسية عبر كلا من الزمان والمكان على أحداث الرواية وشخصياتها المتعددة.

أ. الزمن النفسي في رواية إرث الرماد:

هو الزمان الذي يمر في أذهان الشخصيات أو يمر عليها في الواقع مشتملة ما بين الزمن النفسي المتمثل في الخيال، الذكريات، الأحلام، وما إلى ذلك، والزمان الحقيقي الواقعي المتمثل في السنوات، الأسابيع، الأيام، الساعات، والدقائق وما إلى ذلك.

- "أيها الحفيد الصغير تذكر أن في عمري أشياء تتهاوى في أبدها الرتيب الكثيرة في كف العشب" "عصمان، 2023، ص8".

يتحدث الجد مع حفيده الصغير في محور الوراية، حيث يستذكر ذكريات الماضي البعيد حدثت معه وخلفت تواترًا كبيرًا على نفسه التي لم ترَ إلا البؤس والضيق، وكأن عمره هذا بمثابة العشب الذي ينمو في المناطق الصحراوية الجافة، يحتاج للماء في زمن قل فيه العطاء والنماء.

"ينادي الشيخ بصوته الأجش: أين أنت أيها الحفيد الصبي؟ أنا وأنت متورطان في بداهةِ اليوم، ناجيان من الأمس بأعجوبة المقيمان في الأمكنة الخاطئة" (عصمان، 2023، ص11).

تأثرت ذات الكاتب مع الزمن الحقيقي الذي يربط مابين اليوم والأمس، متأملاً ماحدث معه من اغتراب عن بلده وضياعه في بقع تائهة اختزنت في حلجات نفسه، وعملت على تغيير في سلوكه وشعوره بالعدم والحزم الشاهق، وهو ما حدث تطابق ما بين الاسترجاع "الأمس" والاستباق "اليوم، غدًا"، يعني التقديم والتأخير وهذا ما يعرف بالتداخل الجدلي للزمن أي هو جدل الماضي مع الحاضر وربطه بالمستقبل.

ب. سيكولوجية المكان:

وهو المكان الذي يوجد فيه واقع الشخصية ومسقط رأسها وموطنها الأول مثل: البلدان والمدن، القرى، فيؤثر المكان تأثيرًا كبيرًا على شخصيات الرواية وحالتهم النفسية لما له من دلالات تعكس التجارب الماضية والذكريات.

"في هذه الضوضاء، جميعنا صرنا مُدّنا خشنة، تلفحنا كآبه الحرب، أضحت أزقتنا قديمة يُرثي لها، وتعرّتْ حدائقنا، الغيم العابر سماواتنا التائهة، صرنا تلك المدن المهجورة، لا أحد يصلها ياليل الخوف في مدينتي المجروحة"(عصمان، 2023، ص32).

صّور الكاتب عبر هذه الأسطر من خلال حديث (الجد) ذلك الشيخ الهرم الذي عانى الويلات من الاستعمار، مما جعلها عالقه في ذاكرته من خلال ذكره لبعض الأمكنه مثل "المدن، الأزقة، الحدائق"، ليجسد البعد الحضاري عبر مايمر به الإنسان من تغيرات ثقافية وعقائد مختلفة لها أثرها الكبير على الذات الإنسانية، ذلك لإرتباطها بالأصل (الأرض) أو (مسقط الرأس) مما أدى إلى تكوين علاقة مع ذاتية الكاتب ومع الآخرين نابعة من محاولة إحداث توازن نفسي يربط مابين مآسي الماضي البعيد وربطه بالحاضر.

"أمام نظر الجد العجوز وإعجابه يقول الصبي مستطردًا حديثه:

كنا ياجدي نشكلُ ثنائيًا هستيريًا حين نسلُكُ دربًا خارج المدينة التي أكلها الرماد، تشير بخطىً وئيدة ولا نكاد نركض فوق مسرب ترابي، يُجرّنا إلى ربوةٍ من حصىً ناتئ، تظلُ تلك الربوة على أطلال مدينتنا" (عصمان، 2023، ص75).

جسد الكاتب النظرة العميقة إلى وطنه المسلوب من خلال احتفاظه بمبدأ الوطنية والإنتماء، وحتى وإن كان في بلدٍ آخر مغترب عن الأهل والأحباب، مما جعل من هذا الاغتراب نقطة قوة وعزيمة في ذاته البائسة، وعزمة بالانتقام من ذلك المستعمر وُصّناع الفساد.

هنا يتأصل العمل ما بين الفعل الاجتماعي والفعل السياسي باعتبارهما وجهان لعملة واحدة يتم تسجيلها بنفس الإيقاع وبنفس التوافق وهي تيمة كثر استخدامها في الروايات المستوحاة من الأخبار السياسية وانعكاساتها على الواقع[21] (يوسف، 2017، 25، 26).

4. مظاهر الاغتراب السيكولوجي في الرواية:

يعد الاغتراب النفسي ظاهرة إنسانية واجتماعية تختلف من مكان لآخر ومن إنسان لآخر، مما يدفع به إلى حالات عدة منها الاكتئاب والسلوك السلبي والصراع النفسي وحالات التوتر المزمن، والعزلة، وهذا من جراء عدة أسباب، منها: فقدان العدالة، غياب الأمن والاستقرار، الظلم الاجتماعي، الاستغلال الاقتصادي وغير ذلك وهذه الأمور ليست حديثة بل توجد منذ زمنٍ بعيد.

- "وإن لم يكن قد بلغ درجة من الحدة والوضوح والنضج مثل ما بلغة في العصر الحديث عامة، والقرن العشرين خاصة"[22] (محمد، 1988، ص9).
- "أنا الآن على حافة السقوط، ليس كبرياء ولا استعلاء، أنا فقط أحدث نفسي من فوق ركامي، وهو كثير بما يكفي لأبدو مثل بناية شاهقة الطوابق، تبدو عاليه وفارغة، أقاوم إنهاري بالرسم، وأدّعي أن الحزن الداكن القابع على وجهي هو اكتئاب خريفي" (عصمان، 2023، ص78).

يشـير الكاتب إلى عدم إظهار أي نوع من الشـعور والإحسـاس كما لو كان فارغًا من الداخل، لا يبالي بما يحدث له من عقابات ومآسـي وعثرات، وكأن الحزن والسـرور بمثابة الشـيء الواحد لديه، ولكن ذلك هو عبارة عن إدعاءات وهمية يطلقها قلمه لترسـيخ مبدأ اللامبالاة الذي يهيمن على ذاته المغتربة مابين الاضـطرابات والتناقضـات، وهذا يعكس "الجانب السلبي للفرد من خلال رضوخة للواقع دون سعى منه إلى مواجهته؛ وهذا الاستلام هو صورة من صور الاغتراب بين الفرد والمجتمع"[(23)].(بركات، 2006، ص149).

- "أصـبحت الآن أحمل الصـمت على محمل الجد، أُمعنُ في الصـمت ولأن لا أحد منهم البتة يسـتطيع فهم ما يحمله الفيلسوف الرسام من عبقرية الرؤى وحكمة التأويل" (عصمان، 2023، ص61).

هنا يتعرض الكاتب لحالة اكتئاب تجعله أسـير أفكاره الصـامتة التي تعبر عن معنى الوحدة والحزن والشـعور بالرفض أمام ما يحدث أمامه من أفعال بذيئة تجعله يمعن في صـمته الدائم، فعدم اخراج المكبوت هو المعادلة النفسـية للشعور بالراحة والهدوء أما في حالة "عدم القدرة على إدراك معنى محدد للحياة أو تفسير للأحداث المحيطة بشكل واضح وموضوعي، هو الشعور بعدم جدوى الحياة"[(24)] (الشامي، 2014، ص43).

- "أنا وحيد، مزهو ومنتعش بضوء العزلة الخفي، لديّ ما يساعدني على أن أكون نسيجًا من قلق أزرق وفي المقابل لديّ قابلية للضحك" (عصمان، 2023، ص48).

تعد العزلة الاجتماعية عند الكاتب من أهم مظاهر الاغتراب السـيكولوجي وهو الشـعور بالانفصـال عن العائلة بالمجتمع والمحيط الخارجي، وكذلك الغربة عن الذات وعدم الشعور وضبابية الرؤية.

فها هو ينتعش بضـوء العزلة والابتعاد عن البشـر، بسـبب غياب العوامل والتعزيزات الإيجابية، التي تعمل على التوافق النفسي والاغتراب عن الأوطان هو الاغتراب عن النفس، واغتراب المكان، واغتراب الجسد، "فالاغتراب النفسي يعد لونًا من ألوان المعاناة الداخلية للنفس الإنسانية، فقد أدى إلى الإحساس بالانعزال والوحشة"[(25)] (الركابي، 2013، ص89).

زد على ذلك شـعور الكاتب بفقدان الهوية واختلال النفس يعمل بصـورة متداخلة، حيث ترد لأسـباب ذاتية وعوامل نفسية ديناميكية تعمل على تشويه النظرة المستقبلية المعقدة والمضطربة مع الغير، وعدم الرغبة في التواصل وفقدان القدرة على التعامل معهم في ظل قهر النفس وشعورها بالذل والمهانة، لاسيما عندما يسودها عدم الاستقرار في مجتمعات يقودها فئات ظالمة مستبدة.

النتائج:

1. عمل الكاتب عبدالسـلام عصـمان على توضـيح الذات الفردية من خلال فهم ذاتها والتعرف على قيمها ومعتقداتها من خلال بيئة الشخصيات وعلاقتها ببعضها البعض.
2. عززت السيكولوجية الفردية عند الكاتب مبدأ الثقة في النفس وكيفية إدارة الوقت والتركيز.
3. تميزت شـخصـية بطل الرواية "الجد آدم" بالذاتية والاسـتقلالية والتفكير المنطقي الذي يدل على تحليل الأمور بمنطقية الفكر والعقل.
4. جسدت الرواية صرخة في وجه المجتمع الذي هيمنت عليه قوى الظلم والبغى، وأظهرت نموذجًا للشخصية المأزومة نتاج القهر والضغوطات الواقعة عليها.

5. كشفت الدراسة ملامح الرواية النفسية في رواية إرث الرماد من خلال إبراز الأبعاد السياسية والاجتماعية وجعلها بمثابة البعد الموضوعي في حياة بطل الرواية.
6. عملت الرواية على سير الأغوار واقتحام عالم البشرية بعرض أحداث الشخصية المحورية جاعلة من الخلفيات السياسية ضلالاً للحدث.

المراجع:

1. ينظر: معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010.
2. فن الشعر، إحسان عباس، دار الثقافة للنشر، بيروت، لبنان، ط5، 1975.
3. دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي، عفت الشرقاوي، دار النهضة للنشر، بيروت، 1979، ص229.
4. ينظر: مدخل إلى الدراسة النفسية للأدب، نظريات وتطبيقات، عبدالحميد شاكر، الدار المصرية اللبنانية للنشر، مصر، الطبعة الأولى، 2017.
5. المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الشاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ج1.
6. سيكولوجيا الذات البدنية "النظريات، النماذج، التطبيقات"، فريد مويسي، مكتبة الأنجلو المصرية للنشر، مصر، 2015.
7. مفهوم وتقدير الذات، طارق عبدالرؤف، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2016.
8. ينظر: علم النفس الأدبي مع نصوص تطبيقية، إبراهيم فضل الله، دار الغاربي للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2011، ص55.
9. ينظر: سيكولوجية الذات البدنية، النظريات والنماذج، التطبيقات، فريد مويسي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، د.ط، 2015.
10. نظريات التوجيه والإرشاد في المجال الدراسي، سلطان مفرح السرحان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2015.
11. ينظر: هيجل والهيجليون الشبان، حسين حنفي، دار هنداوي للنشر، المملكة المتحدة، 2017.
12. الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، عبدالواسع الحميري، دار عناوين النشر والتوزيع، اليمن، 2023، ج1، ص25.
13. الذات في الفكر العربي الإسلامي، محمد المصباحي، المركز العربي للأبحاث، قطر، ط1، 2017، ص41.
14. الأدب الحميم في النثر العربي الحديث، منصور قيسومة، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط1، 2012.
15. قضايا النقد والحداثة، دراسة في التجربة النقدية لمجلة شعر اللبنانة، ساندي سالم أبو سيف، دار العاري للنشر، الأردن، ط1، 2005.
16. التوجيه والإرشاد، الدليل الإرشادي العملي للمرشدين التربويين والعاملين مع الشباب، سالم إحمود الحراحشة، دار الخليج للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2015.
17. سيكولوجية الذات البدنية، النظريات والنماذج، التطبيقات، فريد مويسي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، د.ط، 2015.

18. مهارات إدراة الذات والمرونة النفسية، أحمد رجب، دار أزهى للنشر، طرابلس، ليبيا، 2025.
19. فضاء لغبار الطلع، أدونيس، كتاب دبي الثقافية، منشورات مجلة دبي الثقافية، دبي، 2010.
20. مقدمة في الإرشاد النفسي، محمد إبراهيم عيد، دار الأنجلو المصرية للنشر، مصر، 2006.
21. ينظر: متاهات السرد " دراسات تطبيقية في الرواية القصيرة"، شوقي بدر يوسف، وكالة الصحافة العربية للنشر، مصر، 2017.
22. الاغتراب، سيرة مصطلح، رجب محمود، دار المعارف للنشر، القاهرة، ط3، 1988.
23. الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الابان بين الحلم والواقع، حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
24. مظاهر الاغتراب الاجتماعي لدى الشباب الجامعي الفلسطيني، مجلة جامعة الأقصى، سلسلة العلوم الإنسانية، فلسطين، مج 18، ع 2، 2014.
25. الغربة في الشعر العراقي في القرن العشرين، خليج الركابي، مكتبة البصائر للنشر، بيروت، لبنان، ط، 2013.